القرآن مافي الحديث من ذلك وما ينبغي التفرقة بينهما ،وما أحسن جواب بعض المحدثين ، وقد سئل عن أحاديث الصفات فقال :رواها الذين رووا لنا الصلاة والزكاة وسائر الشريعة فالواجب تسليم ماصح ، وما اشتبه معناه رددناه الى الله سبحانه ، فلا يغرنك قولهم آحادي فلا تقبله في مقابلة العقل ، لان مارواه الثقات مقبول ، والا اطرحنا أكثر الشريعة ، والدليل على قبول الآحاد شامل لكل الدين ، والتفرقة جاءت من قبلهم لا من قبل الله ورسوله ، اذ العقل قد فرضنا انه لم يدرك حقيقة ذلك ، فكيف يقال انه مصادم له اه

وأما خصوم الجهمية فهم أتقنوا علم السمع ، وعلموا منه كثيرا من القواعد ، وتواتر من السمع لهم مالم يتواتر لغيرهم ، الا انهم ظنوا ان العلوم العقلية معارضة لما عرفوه من السمع الحق ،وحسبوا ان الاصغاء لعلم المعقول والنظر اليه يستلزم البدعة من غير بد ، مع ان العقل السليم لا ينافي السمع الصحيح . قال الامام الغزالي رحمه الله في الاحياء : لاغنى بالعقل عن السماع ، ولا غنى بالسماع عن العقل ، فالداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل ، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور ، فاياك أن تكون من أحد الفريقين ، وكن جامعاً بين الاصلين ، فان العلوم العقلية كالأغذية ، والعلوم الشرعية كالادوية اه

***

(١٧) بيان ان انقسام الناس الى التجهم يشبه انقسامهم الى التشيع وذلك ثلاث درجات

قال الامام ابن تيمية : ليس الناس في التجهم على مرتبة واحدة ، بل

انقسامهم في التجهم يشبه انقسامهم في التشيع ، فان التجهم والرفض هما أعظم البدع أو من أعظم البدع التي أحدثت في الاسلام ، ولهذا كان الزنادقة المحضة مثل الملاحدة من القرامطة ونحوهم انما يتسترون بهذين بالتجهم والتشيع ، وقد كان أمرهم اذ ذاك لم ينتشر ويتفرع ويظهر فساده كما ظهر فيما بعد ذلك

فان الرافضة القدماء لم يكونوا جهمية ، بل كانوا مثبتة للصفات ، وغالبهم يصرح بلفظ الجسم وغير ذلك ، كما قد ذكر الناس مقالاتهم ، كما ذكر أبو الحسن الاشعري وغيره في كتب المقالات

والجهمية لم يكونوا رافضة بل كان الاعتزال فاشيا فيهم ، والمعتزلة كانوا ضد الرافضة ، وهم الى النصب أقرب ، فان الاعتزال حدث من البصرة ، والرفض حدث من الكوفيين ، والتشيع كثر في الكوفة ، وأهل البصرة كانوا بالضد ، فلما كان بعد عهد زمن البخاري من عهد بني بويه ، فشا في الرافضة التجهم واكثر أصول المعتزلة ، وظهرت القرامطة ظهوراً كثيرا ، وجرى حوادث عظيمة

والقرامطة بنوا أمرهم على شيء من دين المجوس وشيء من دين الصابئة ، فأخذوا عن هؤلاء الاصلين النور والظلمة ، وعن هؤلاء العقل والنفس ، ورتبوا لهم ديناً آخر ليس هو هذا ولا هذا ، وجعلوا على ظاهره من سيما الرافضة مايظن الجهال به انهم رافضة ، وانما هم زنادقة منافقون ، اختاروا ذلك — لان الجهل والهوى في الرافضة اكثر منه في سائر أهل الاهواء

والشيعة هم ثلاث درجات (شرها الغالية) الذين يجعلون لعلي شيئا

من الإلهيـة أو يصفونه بالنبوة ، وكفر هؤلاء بين لكل مسلم يعرف الاسلام وكفرهم من جنس كفر النصارى من هذا الوجه

(والدرجة الثانية) وهم الرافضة المعروفون كالامامية وغيرهم الذين يعتقدون ان عليا هو الامام الحق بعد النبي صلى الله عليه وسلم بنص جلي أو خفي ، أو انه ظلم ومنع حقه ، ويبغضون أبا بكر وعمر ويشتمونهما ، وهذا هو عند الأئمة سيما الرافضة وهو بغض أبي بكر وعمر وسبهما

(والدرجة الثالثة المفضلة) من الزيدية وغيرهم الذين يفضلون عليا على أبي بكر وعمر ، ولكن يعتقدون امامتهما وعدالتهما ويتولونهما ، فهذه الدرجة وان كانت باطلة فقد نسب اليها طوائف من أهل الفقه والعبادة وليس أهلها قريبا ممن قبلهم ، بل هم الى أهل السنة أقرب منهم الى الرافضة ، لانهم ينازعون الرافضة في امامة الشيخين وعدلهما وموالاتهما ، وينازعون أهـل السنة في فضلهما على علي ، والنزاع الاول أعظم ، ولكن هم المرقاة التي تصعد منه الرافضة ، فهم لهم باب

(وكذلك الجهميـة على ثلاث درجات) (فشرها الغالية) الذين ينفون أسماء الله وصفاته ، وان سموه بشيء من أسمائه الحسنى قالوا هو مجاز ، فهو في الحقيقـة عندهم ليس بحي ولا عالم ولا قادر ولا سميع ولا بصير ولا متكلم ، ولا يتكلم ، وكذلك وصف العلماء حقيقة قولهم كما ذكره الامام أحمد فيما ذكره في الرد على الزنادقة والجهمية ، قال فعند ذلك تبين للناس انهم لا يثبتون شيئاً ، ولكنهم يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون في العلانية ، فاذا قيل لهم فمن تعبدون ؟ قالوا نعبد من يدبر أمر هذا الخلق. فقلنا فهذا الذي يدبر أمر هـذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة ، قالوا

نعم، قلنا قد عرف المسلمون انكم لاتثبتون شيئا ، انما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون ، فقلنا لهم هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى ، قالوا لم يتكلم ولا يتكلم ، لان الكلام لايكون الا بجارحة، والجوارح عن الله منتفية ، واذا سمع الجاهل قولهم يظن انهم من أشد الناس تعظيما لله ، ولا يعلم انهم انما يقودون بقولهم الى ضلال . وقال أبو الحسن الاشعري في كتاب المقالات والابانة : الذين نفوا صفات رب العالمين ، وقالوا انه لاعلم له ولا قدرة ولا سمع ولا بصر ، انما أخذوه عن اخوانهم من المتفلسفة الذين يزعمون ان للعالم صانعا لم يزل ليس بعالم ولا قادر ولا سميع ولا بصير ،غير ان هؤلاء لم يستطيعوا ان يظهروا ماكانت الفلاسفة تظهره، فاظهروا معناه ، وقالوا ان الله عز وجل عالم قادر سميع بصير من طريق التسمية من غير ان تثبت له علما أو قدرة أو سمعا أو بصرا . وقد أفصح بذلك رجل يعرف بابن الاباري كان ينتحل قولهم، فزعم ان البارئ تعالى عالم قادر سميع بصير في المجاز لافي الحقيقة .وهذا القول وهو قول الغالية النفاة للاسماء حقيقة هو قول القرامطة الباطنية ، ومن سبقهم من اخوانهم الصابئة الفلاسفة

(والدرجة الثانية) من التجهم هو تجهم المعتزلة ونحوهم الذين يقرون باسماء الله الحسنى في الجملة لكن ينفون صفاته ، وهم أيضاً لا يقرون باسماء الله الحسنى كلها على الحقيقة ، بل يجعلون كثيرا منها على المجاز ، وهؤلاء هم الجهمية المشهورون

(والدرجة الثالثة) هم الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية ، لكن فيهم نوع من التجهم كالذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة ، لكن

يردون طائفة من اسمائه وصفاته الخبرية وغير الخبرية ويتأولونها ،كما تأول الاولون صفاته كلها . ومن هؤلاء من يقر بصفاته الخبرية الواردة في القرآن دون الحديث كما عليه كثير من أهل الكلام والفقه وطائفة من اهل الحديث (ومنهم) من يقر بالصفات الواردة في الاخبار أيضاً في الجملة ، لكن مع نفي وتعطيل لبعض ما ثبت بالنصوص وبالمعقول ، وذلك كابي محمد بن كلاب ومن اتبعه . وفي هذا القسم يدخل ابو الحسن الاشعري وطوائف من أهل الفقه والكلام والحديث والتصوف ، وهؤلاء الى أهل السنة المحضة أقرب منهم الى الجهمية والرافضة والخوارج والقدرية، لكن انتسب اليهم طائفة هم الى الجهمية أقرب منهم الى أهل السنة المحضة ، فان هؤلاء ينازعون المعتزلة نزاعا عظيما فيما يثبتونه من الصفات أعظم من منازعتهم لسائر أهل الاثبات فيما ينفونه

وأما المتأخرون فانهم والوا المعتزلة وقاربوهم أكثر ، وقدموهم على أهل السنة والإثبات وخالفوا أوليهم (ومنهم) من يتقارب نفيه واثباته، وأكثر الناس يقولون إن هؤلاء يتناقضون فيما يجمعونه من النفي والاثبات اهـ[١]

(١) للكلام تتمة واسعة في التسعينية فليراجعها المستزيد